لنصغر الإيفة ونكبر الشاقل

"اسمعوا هذا أيها المتهممون المساكين لكي تبيدوا بائسي الأرض قائلين متى يمضي رأس الشهر لنبيع قمحاً والسبت لنعرض حنطة. لنصغر الإيفة ونكبر الشاقل ونعوج موازين الغش" (عا ٨: ٤-٥)

هكذا عاتب الله شعبه في القديم على لسان عاموس النبي، ويظل يعاتبنا اليوم على سعينا لتصغير الإيفة وتكبير الشاقل. والإيفة كانت تستخدم في ذلك الزمان كمكيال يكال به القمح، أما الشاقل فكان عيار لوزن الأشياء الثمينة مثل النقود والذهب والفضة. فبائع القمح يكيل كمية القمح المباعة بالإيفة ويتلقى في المقابل فضة موزونة بالشاقل. مما يعني أن تصغير الإيفة وتكبير الشاقل هو غش مزدوج حيث يعطي البائع للمشتري كمية أقل من القمح ويتلقى في مقابلها مبلغاً أكبر من الفضة.

على الرغم من أن هذا القول يصف حرفياً غشاً تجارياً حقيقياً كان يحدث في ذلك الحين إلا أن المعنى الروحي الكامن وراء هذه العبارات عميق جداً فهو يخص كل معاملاتنا مع الله ومع الآخرين. إنه باختصار عطاء أقل في مقابل أخذ أكثر. وهو ينطبق علينا حينما:

- نصغر الإيفة فيما يخص قانوننا الروحي من صلوات وأصوام وقراءات، ونكبر الشاقل فيما ننتظره من عطايا ومواهب الروح القدس.
- نصغر الإيفة فيما نقدمه لله من عطايا المال والجهد والوقت، ونكبر الشاقل فيما ننتظره منه من بركة وإحسان.
- نصغر الإيفة في تقديرنا لعمل نعمة الله في حياتنا، ونكبر الشاقل في تصور أن الذين علينا أكثر من الذين معنا.
- نصغر الإيفة في اهتمامنا بالروحيات، ونكبر الشاقل في انشغالنا بالجسديات.
- نصغر الإيفة فيما نظهره من إيمان، ونكبر الشاقل فيما نطلبه من براهين العيان.
- نصغر الإيفة فيما نقدمه من رحمة بالآخرين، ونكبر الشاقل فيما نطلبه من مراحم الرب.
- نصغر الإيفة في انشغالنا بالجوهر، ونكبر الإيفة في اهتمامنا بالمظهر.
- نصغر الإيفة فيما نقدمه للناس من مشاعر صادقة، ونكبر الشاقل فيما ننتظره منهم من حب ورعاية واهتمام.
- نصغر الإيفة في تقديرنا لأحزان وهموم الآخرين، ونكبر الشاقل في تقديرنا لآلامنا وأتعابنا الشخصية.

- نصغر الإيفة في تقديرنا لخطايانا الشخصية، ونكبر الشاقل في تقديرنا لضعفات وهفوات الآخرين.
- نصغر الإيفة فيما نقدمه للآخرين من شكر وعرفان بالجميل، ونكبر الشاقل فيما ننتظره منهم من ثناء وتقدير للصنيع.
- نصغر الإيفة فيما نراه في الآخرين من مواهب وإمكانيات، ونكبر الشاقل فيما نراه في ذواتنا من تميز وتفرد.
- نصغر الإيفة فيما نقدمه للآخرين من صفح وغفران، ونكبر الشاقل فيما نطالبهم به من تسامح ومغفرة.
- نصغر الإيفة فيما نقدمه للآخرين من إنصات، ونكبر الشاقل فيما نثقل آذانهم به من حديث.

يا روح الله القدوس أنظر كيف امتلأنا غشاً وخداعاً؛ أنظر كيف لم يعد للحق مكاناً داخلنا. نتوسل إليك أن تقلب موازين ومكاييل قلوبنا وأفكارنا رأساً على عقب حتى تصير المحبة والتواضع أساساً لكل معاملاتنا مع الله والآخرين.